وقد تقدم من خواطره ومكايده التي يوسوس بها المتعلم في المانع الثالث وكذلك غيره
فالحاصل أن الخواطر داعي المجاهد كسيل العرم فالواجب عليه في أول أمره
وبدايته وفي آخر أمره ونهايته التمييز بين الخواطر وإنما أمرنا المريد في الابتداء بنفيها
لأنه دخيل في الطريقة ليس له أهلية أن يميز بين الخواطر وطريق تمييزه أن
ينفي الخواطر جميعاً فما كان محموداً كخواطر الحق والملك فيثبت ولا ينتفي بنفيه
وما كان من الشيطان والنفس فينتفي قال الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم الآية وخامسها خاطر النفس وهو بمنزلة الصبي الذي
لا عقل له ولا تمييز فيشتهي الشيء فيستدعيه ولا يرضى إلا بتحصيل ذلك كالصبي
إذا أراد اللعب بالكعاب أو بالجوز وغيره وهذا الخاطر أشد الخواطر على المريدين
لأن النفس كالملك في داخل الإنسان وعسكره الروح الحيواني والبشرية والطبيعة
والهوى وهي في نفسها عمياء لا تبصر المهلك ولا تميز الخير من الشر إلى أن ينور الله
تعالى بصيرتها بلطيف حكمته وواسع رحمته فتبصر الأعداء والمعادين وتجد
البنيان الإنساني مملوءاً من خنازير الحرص وتكالب الكلب وغضب النمر وشهوة
الحمار ونهمة الثيران وحيلة الشيطان ونيران الحسد كما تقدم فعند ذلك تصير لوامة
تلوم نفسها على الصبر مع هؤلاء الأعداء فتحتال حينئذ على إخراجها وقلعها من
داخل البنيان فإذا فرغت من إخراجها وكنست البيت من رذائلها وزينته بشعب
الإيمان البضعة والستين في رواية أو البضعة والسبعين في رواية فتصير عند
ذلك مطمئنة فذلك قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك وهذه
النفس ليست شيئاً آخر بل هي القلب لكن لها أحوال ثلاثة ففي حالة الأولى نفس
أمارة بالسوء وفي حالة الثانية نفس لوامة وفي حالة الثالثة حالة الاستقامة
والتمكين حين طلوع شمس النفس وحينئذ تسميه قلباً فافهمها جداً الآن أكثر
الزهاد والعباد والأبدال والأوتاد ذهبوا إلى أن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم أنه علم الخواطر من مكايد الشيطان والثامن
ربط القلب بالشيخ لأنه رفيق في الطريق وقد ثبت أن الرفيق ثم الطريق

كما تقدم

كما تقدم قال الله سبحانه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم
فليأت الباب وفي رواية كذب من أتى البيت من غير بابه ولذلك ما ترى زاهداً محققاً
وصوفياً متقياً عارفاً وحكيماً إلا وهو متمسك بهذا المحتشم وآخذ بذيل فضله وعلمه
وقد تقدم ما قال الجنيد رحمه الله الله حسب من شغل عنا صاحبنا يعني علياً
عليه السلام بالجمل وصفين والنهروان فلولا اشتغاله بهذه الحروب لأخرج إلينا من
هذه العلوم ما لا تقبل لنا به إلى غيرها من رواياتهم وكيف لا يكون كذلك لأنه عليه السلام
سيد الأولياء والأوصياء وأعرف الناس بطريقة الأنبياء والإشارة فضلاً عن العبارة وروي
عنه صلى الله عليه وآله وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال تعالى حكاية
عن نبيه موسى عليه السلام ووليه الخضر قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت
رشداً قال إنك لن تستطيع معي صبراً فالشيخ هو الذي سلك الطريق وعرف فيها
المخاوف والمهالك فيرشد المريد وينبهه في الأخبار بالمنازل والمقامات والأحوال
ويشير عليه بما ينفعه وما يضره ولذلك قيل من لم يكن له شيخ وأستاذ فإمامه
الشيطان فلا يكون الشيخ وصحبته أقل من الجليس الصالح كما جاء في الحديث
مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ومثل الجليس
السوء كمثل الكير إن لم يصبك من شرره أصابك من دخانه وقيل من لم ير مفلحاً لا يفلح ولكن
أين يوجد ذلك في هذا الزمان ومن الأولياء من يوصله الحق إلى درجات اليقين بالجذب
إليه كما قيل جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين فذلك أيضاً جائز ولكن
لا يصلح مثله لإرشاد الخلق لأنه واصل إليه تعالى بغير عمل واجتهاد والذي يصلح
لإرشاد الخلق شيخ سالك سلك الطريق فعرف مضارها ومنافعها والمنازل
والمقامات والأحوال والكرامات وحظي بالمشاهدات بواسطة المجاهدات والتاسع
النوم عن غلبة وحد الغلبة أن يتشوش عليه الذكر أو القراءة أو الصلاة فحينئذ ينام
حتى يستريح ويعرف ما يقول ويعمل قال تعالى كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون

Copyright © King Saud University